الجنرال بول أوساريس ومسألة الإعدام خارج الإطار القانوني أثناء معركة الجزائر.

دراسة حالة اغتيال العربي بن مهيدي

General Paul Aussaresses and the Question of Summary Executions during the Battle of Algiers.

Case of the Assassination of Larbi Ben M'hidi

نجاة بادي[1] ، حماميد حسينة[2]

[1] مخبر: دراسات، ثقافة، تراث، مجتمع، كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم: التاريخ والآثار، جامعة: باتنة 1 (الجزائر)، totododoh@gmail.com

[2] كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم: التاريخ والآثار، جامعة باتنة 1 (الجزائر)، hemamid_hassina@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/05/11 تاريخ القبول: 2021/08/25 تاريخ النشر: 2021/11/06

الملخص:

ارتبَطَ مصطلَحُ الإعدام خارج الإطار القانوني من الناحية التاريخية باسم فرنسا الاستعمارية وممارساتها إبّان معْرَكَةِ الجزائر. ومن هذا المنطلق، يتناول هذا البحث مسألة عمليات الإعدام خارِجَ الإطار القانوني خلال معركة الجزائر، وذلِكَ بالتركيز على حالة اغتيال الشهيد محمد العربي بن مهيدي. ولِذلِكَ، تُحاوِلُ الدِّراسةُ معرِفَة الطّريقة التي تَمّت بها تصفيته. وقد تَوَصّل البحث إلى أنَّ أوساريس هو من أمرَ باغتيال بن مهيدي، وأنَّ اعترافاته التي سبقت وفاته بقليل كان لها أهمية قصوى في هذا الملف.

الكلمات المفتاحية: الإعدام خارج الإطار القانوني؛ بول أوساريس؛ العربي بن مهيدي؛ الثورة الجزائرية؛ معركة الجزائر

Abstract:

Historically speaking, the term of summary executions is associated with the French occupier and its practices during the battle of Algiers (1957). Building on these grounds, this paper discusses the question of summary executions during the battle of Algiers by focusing on the case of the assassination of Larbi BenM'hidi. Thus, this paper is an attempt to know how Larbi Ben M'hidi was assassinated. The study has shown that Aussaresses ordered the killing of Larbi Ben M'hidi, and that his confessions, little before his death, have had significant importance regarding this particular question.

Key words: Summary execution; Paul Aussaresses; Larbi Ben M'hidi; Algerian Revolution; Battle of Algiers

المؤلف المرسل: نجاة بادي، **الإيميل:** totododoh@gmail.com

1. مقدمة:

منذ أن وطئت أقدام المحتل الفرنسي أرضَ الجزائر وهو يطمح لإبادة شعبها والاستحواذ على كلِّ ما يملك، إذ عملت السلطة الفرنسية على إحكام قبضتها على هذا الشعب الأعزل عن طريق انتهاجها العديدَ مِنَ الأساليب، التي اتَّسَمَت في بعض الحالات بالقمعية؛ فأقدَمت على ممارسة التعذيب دون أن تُراعِيَ في ذَلِكَ سِنَّ المعذَّبين ولا جِنْسَهُم ولا ظُروفَهم المَعيشِيَة، وكان ذِلِكَ لاعتقادها بأنَّ مُمارسةَ القَمعِ هي الوسيلةُ الأنجعُ قصد السيطرة على مصادِرِ المعلومات والوصول إلى العقول المدبِّرة والمسيرة لجبهة التحرير الوطني التي كانت تُعَدُّ المُمثل الشرعي الوحيد للشّعب الجزائري، ولكن هذا الشعب أبى أن ينحني للمستعمِر، مِمَّا أدَّى

بالُّسلطة الفرنسية إلى تَجنيد واستدعاء جنرالاتها، آمِلَةً في أن ينجحوا في استنطاق الأهالي وأخذ المعلومات منهم لإحكام السيطرة أكثر على الجزائر. ولعلَّ أهم هؤلاء الجنرالات هو: بول أوساريس (Paul Aussaresses)، الذي استدعته حكومته إلى الجزائر ليبدأ عمله الإجرامي. وإنَّ ما عُرِفَ بِه هذا الجِنرال هو إقدامُه على ما يُسَمَّى بعمليات الإعدام خارِجَ الإطار القانوني، أي دون المرور عبر محاكمة عادِلَة، ولعلَّ من أهم الشخصيات الجزائرية الثورية التي تعرَّضت لهذه العمليات الشهيد محمد العربي بن مهيدي، وهذا ما يُعَدُّ وَجْهًا آخرَ مِنْ أوجُه ممارسة القمع من طرف المُسْتَعمِرِ الفرنسي في حقِّ شعْبٍ كان يَقِفُ معَ جبهته التي وَكَّلَها لإنجاحِ قَضِيَتِه المشروعة بلا شك.

من هذا المنطلق نطرح الإشكالية الأساسية التالية: كيف تَمَّت تصفِيَة الشَّهيد العربي بن مهيدي بِحسب رواية الجنرال أوساريس؟ وتندرج ضمن هذه الإشكالية عدَّة تساؤلات أهمّها: ما هو الأسلوب الذي اتبعه الجنرال أوساريس لأخذ المعلومات من المناضلين؟ وما مدى نجاحه في الوصول للعقول المسيرة للثورة التحريرية؟

وعليه، ستسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على التساؤلات المذكورة وفق الخطة التالية:

- التعريف بشخصية بول اوساريس؛
- وصوله إلى مدينة الجزائر؛
- قضية إعدام الشّهيد محمد العربي بن مهيدي خارج الإطار القانوني.

2. التعريف بشخصية بول أوساريس

إنَّ من المُؤْسِفِ أنَّ الأرشيف العسكري الموجود في فرنسا لا يتوَفَّرُ على المعلومات التي تتعلَّقُ بالجانب الشخصي للعسكريين الفرنسيين عموما، ولشخصية أوساريس خصوصا وهو موضوع هذا البحث. وهذا الأسف يُضاف إلى الأسف على عدم توَفُّر مصادرَ أكاديمية (تغلُب عليها الملاحظة والنّقد الموضوعيين) تناولت حياتهم سِوى من مقالات صحفية تكاد تُعَدُّ على أصابع اليد الواحدة. على الرَّغم من ذلِك، يجدُرُ بالبحث التطرُّقُ إلى بعض المحطّات من حياة بول أوساريس (الشَّخصية على شَحِّها وكذا حياته العسْكَرِية)، من أجل الوصول في الأخير إلى تحديد الفروق بين تلك المحطّات وكيف أنَّها أثَّرت بشكل من الأشكال على مجرى الأحداث في الجزائر.

1.2. بداية حياتِه العسكرية

وُلِد بول أوساريس (Paul Aussaresses) في 07 نوفمبر 1918 في سان بول كاب دو جو (Saint- Paul Cap-de-Joux)، بمحافظة تارن (Tarn) – فرنسا (Tucker, 2013, pp. 53 & 54)، كان والده مؤرخًا قضى حياته بين الدوائر الإدارية ومكاتب الوزارات، ثم أصبح أمينًا عامًا لصحيفة من صحف الضواحي. أمَّا أوساريس فكان توجُّهُه المهني مختلفا عن توجُّهِ والِدِه، بِحيث كان يتطلَّعُ إلى العمل في المجال العسكري، وهذا ما ذكره عن نفسه في مذكِراته، حيث كتب: "عندما كنت مراهقًا، كنت أَمْقُتُ وحدات المشاة وكنت أريد أن أصبح فارسًا ضمن الوحدات المدَرَعة، وفي 27 نوفمبر 1942 التحقت بالمصالح الخاصة وذلك لجنوحي لمستقبل عسكري، وبقيت بها لمدة اثنتي عشرة سنة." (أوساريس، ترجمة: مصطفى فرحات، 2008، ص. 18). ويبدو أنَّ أوساريس كان شغوفا ومحِبًا لعملِه، وهذا ما يفسِرُه التحاقه بقوات فرنسا الحرة إبان الحرب العالمية الثانية. في هذا السياق، تذكر بعض المصادِر قيامَه بعمليات عسكرية خلف خطوط العدو الألماني، لعلَّ من بينها هبوطه بالمضلة على الأراضي الفرنسية التي كانت محتلة من طرف الألمان في 1944 (Tucker, 2020, p. 120). يُضافُ إلى ذلِكَ إصابتُه في عينه اليسرى التي أورَدَت فلورنس بوجي –صحفية جريدة LeMonde التي حاورته– أنَّه أُصيبَ أثناء أدائِه

لمهامه العسكرية الميدانية، غير أنَّها (أي فلورنس بوجي) علَّقت بأنَّ المعلومة غير مؤكَّدة (من موقع صحيفة Lemonde، تمّ الاسترجاع يوم 2021/01/22).

يبدو أنَّ جميع هذه الأحداث جعلت من أوساريس شخصية وطنية منحته احترام الكثيرين، ولعل هذا ما تُرْجِمَ فيما بعد (أي بعد أنْ وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها) إلى تعيينه قائِدا على فيلق الصاعقة الحادي عشر، وهو عبارة عن وحدة من الكوماندوس – الذراع المسلح لمصالح مكافحة التجسس– وكان ذلك خلال عامي 1947 و 1948، ووُصِف حينها بالبطولة، ثمَّ حارب في الهند الصينية (1946 – 1954) مع الفوج الأول المظلي (Porter, 2011, p. 549). من هنا، لابُدّ أن يقِفَ البحث في العنصر الموالي على حيثيات وصول هذا العسكري إلى الجزائر.

2.2. وصولُه إلى مدينة الجزائر

بدأ أوساريس حياتَه العسكرية في الجزائر، أين كان طالِبًا في الكلية الحربية بِشرشال (تيبازة) سنة 1941 (Tucker, 2020, p. 120) ، ثم تَقَلَّدَ رُتْبَةَ مُرشح وكان تحت إمرته اثنان من صفوف الضباط العرب في منطقة التلاغمة جنوب قسنطينة (Tucker, 2013, p. 54). وعند بداية الثورة في الجزائِر، انضمّ أوساريس إلى الكتيبة المظلية الحادية والأربعين بفيليب فيل (سكيكدة حاليا)، وعمل هناك ضابط استخبارات. وفي يوم 20 أوت 1955، علمَ أنَّ جبهة التحرير الوطني كانت تخطط للهجوم على شرطة فيليب فيل، وذلك باستعمال دروع بشرية، ففتح النَّار على المهاجمين وعلى الدروع البشرية مما أدّى إلى مقتل 134 شخص، كما قُتِل فرنسيان وجُرِح حوالي 100 (Aussaresses, 2006, p. 41).

إنَّ مما لا شَكَّ فيه أنَّ ما خلَّفَتْهُ حادِثَةُ فيليب فيل يُمْكِنُ قِراءَتُه على وجهين: أولُهما أنَّها وَثَّقت لعملٍ إجرامِي لا يُمُتُّ للعمل العسكَرِي الحقيقي بشكل من الأشكال، كوْنَه استَهْدَفَ المدنيين. أمَّا الوجه الثاني فهوَ أنَّ هذِهِ الحادِثَةَ جَعَلت من أوساريس مَحَطَّ إعجاب القادَة العسكريين، وعلى رأسهم جاك ماسو (Jacques Massu) –قائد الفرقة العاشرة للمظليين–، الذي قام باستدعائِه في جانفي 1957، وتكليفه بالعمل في المخابرات في مدينة الجزائر وَسْطَ أحداث معرَكَة الجزائر (Tucker, 2020, p. 120). في نفس السياق، ذكر سعدي بزيان (2009، ص. 33) أنَّ أوساريس بدأ عمله في مدينة الجزائر العاصمة بمساعدة

ضابط في الجيش الفرنسي هو روجي ترانكيي (Roger Trinquier)، الذي كان تحت قيادة الجنرال جاك ماسو، وورد في صحيفة لوموند الفرنسية أنَّ هذا الأخير (أي جاك ماسو) قام بتكليفه في جانفي 1957 بمهمة التنسيق الاستخباراتي في مدينة الجزائر بغية تفكيك شبكات جبهة التّحرير الوطني ووضع حدٍّ للعمليات التي كان فدائيوها يقومون بها.

وفي هذا السِّياق، لابُدَّ من ذِكْر أنَّ المصادِرَ أوردت أنَّ أوساريس كان يقوم بعملِه بلا رحمة ولا شفقة وأنَّه كان يستعمِلُ التّعذيب في حقِّ الأشخاص الذين يعتَقِلُهم (Tucker, Ibid, 2020, p. 120). وهذا ما أوْرَدَه سعدي بزيان أيضًا، الذي ذَكَرَ أنَّ أوساريس عمِلَ مع جاك ماسو (Jacques Massu) على إنهاء إضراب الثّمانية أيام، فاستعملا كل أنواع التّعذيب وقتلا سجناء مُهمِّين على غرار العربي بن مهيدي والمحامي علي بومنجل، وكان يقول أنَّ من مهام رجال المخابرات تحقيق النتائج المُسَطَّرَة، وأنَّ هذه النتائج لا تتحقق في معظم الأحيان إلاَّ بواسطة التعذيب والقتل الجماعي (بزيان، 2009، ص. 37). وسيقوم البحث لاحِقًا باستِعراض كيفية اغتيال العربي بن مهيدي، وما ذَكَرَهُ أوساريس نفسُه عن هذه الحادِثَة.

3.2. أهم مناصِبِه خارِجَ الجزائِر

عُيِّنَ أوساريس سنة 1961 مُلحَقًا للجيش الفرنسي في واشنطن، قدَّم دروسًا للجيش الأمريكي، تحديدا في كارولينا الشّمالية، عن أساليبه في التّعذيب وقمع الثّوار خلال حرب الجزائِر، وكذَلِكَ فعل في السبعينيات في دول أخرى هِي البرازيل والبراغواي والأرجنتين والشيلي (Porter, 2011, p. 549).

تقاعَدَ أوساريس في 1975، ويبدو أنَّه ابتَعَدَ لمدَّة عن ميدان الحرب، غير أنَّه ظَهَرَ مُجَدّدًا من خلال مجموعة من المؤلّفات التي سَرَدَ فيها جوانِب من حياتِهِ كعسكري وكذا أرائَه حول قضايا تتعلَّق بحرب الجزائر على غرار رأيه حول مسألةِ التّعذيب والإعدام خارج الإطار القانوني (سيأتي التعريف بهذا المُصْطَلَح في العناصر الموالية من البحث). وإنَّ من الجدير بالذكْر في سياق استعراض آراء أوساريس حول التّعذيب أنَّ حِوارا أجرَتْهُ صحيفة لوموند الفرنسية في سنة 2000 أثار ضَجَّةً كبيرة، إذ أنَّه لم يَكْتَفِ بالاعتراف بقيامِهِ

بالتّعذيب وأنَّه كان يُنَفِّذُ بِأوامِرَ كانت تأتي من القيادة العليا، بل إنَّه دافَعَ عن استِخْدام التّعذيب كوسيلة للوصول إلى المعلومات (Tucker, 2020, p. 120).

إنَّ ما يمكن استنتاجه في هذه الجزئية من البحث هو أنَّ أوساريس كانت لديه في الأساس نية القضاء ليس فقط على أفراد جبهة التّحرير الوطني بل كافة الشعب الجزائري، نظرا لما عُرِفَ عن أوساريس من حُبِّهِ وتصميمه على تنفيذ أوامر قادتِه دون اكتراث يذكر بالجانب الإنساني. وهذا ما سيتَّضِحُ من خلال تناوُلِ مسألَةِ التّعذيب إبّان معركة الجزائر، وإلقاء الضّوء على تعامل أوساريس مع ملف الشّهيد العربي بن مهيدي.

3. علاقة أوساريس بمسألة الإعدام خارج الإطار القانوني أثناء معركة الجزائر

من منظور لغوي، تُعَدُّ لفظة "إعدام" مصدرًا للفعل الرباعي "أعدَمَ". يُقال "أعدَمَ السجين" أي نَفَّذ فيه حكم الإعدام.

أمَّا من منظور اصطلاحي، فورد تعريف مصطَلَح الإعدام بأنَّهُ: "إزهاق روح المحكوم عليه و سلب حقه في الحياة واستئصاله من المجتمع وذلك بسبب جناية ارتكبها استحق عليها هذه العقوبة، وكلمة الإعدام هي حديثة بالنسبة إلى كلمة القصاص التي كان يستعملها الفقهاء القدامى، لأن لفظ الإعدام أعم من لفظ القصاص في النفس." (منصور، 1976، ص. 45)

أمَّا فيما تَعَلَّقَ بتعريف مصطَلَحِ "الإعدام خارج الإطار القانوني"، فهو ترجَمَةٌ للمصطَلَح الانجليزي Summary Execution (وهو يكافِئُ المصطلَح الفرنسي Exécution sommaire)، الذي وردَ تعريفه في قاموس Oxford بأنَّه إيقاع عقوبة الموت على السّجين دون أن يحْظَى بمحاكمة عادِلَة. ويبدو من وجهة نظَرٍ تاريخية أنَّ John Porteous (1695 – 1739) كان أوَّل من أعْدِمَ خارِجَ الإطار القانوني (تم الاسترجاع يوم 2021/02/13، من موقع www.undiscoveredscotland.co.uk).

إنَّ مما لا شَكَّ فيه أنَّ بول أوساريس، أو كما كان يُعرَف حركيا باسم الرائد "أُو" (Commandant O)، كان يُشَكِّلُ إحدى الوجوه الفرنسية الاستعمارية التي عُرِفَت بميولها

لاستخدام القمع والعنف ضِدَّ الجزائريين إبّان حرب التّحرير، وخاصَّة أثناء معركة الجزائر. في هذا السياق، يعلِّقُ بزيان (2009، ص. 3) على دور أوساريس أثناء معركة الجزائر فيصفُه بأنّه مجرمٌ من المجرمين الذين لعبوا دورًا في تعذيب الجزائريين وقد استحق لقب مجرم حرب من طرف بعض المؤرخين أمثال فيدال ناكي وغيره. وإلى ذلِكَ أضاف هو بنفسِه (أي: أوساريس) خلال لقاء جمعه بصحيفة لوموند في سنَة 2001 (من موقع صحيفة Lemonde، تمّ الاسترجاع يوم 2021/01/22) أنَّه لا يشعُر بأي تأنيب للضمير ولا أسف على الأحداث التي شارَكَ فيها في الجزائر، خاصة فيما يتعلق بممارسته للإعدام خارج الإطار القانوني فيقول: "نفَّذت عمليات اغتيال دون محاكمة في الجزائر،... نعم نفَّذت حوالي 24 عملية اغتيال"، وفي ذلِكَ اعتراف واضِحٌ بتعذيبه وقمعه للجزائريين ولعلَّ من أبرزِ الشَّخْصِيات التي أُتِّهِمَ أوساريس بممارسة التّعذيب عليها هي شخصية العربي بن مهيدي، ولذلك سيُرَكِّزُ بحثنا فيما يلي على مجموعة من الجوانب المتعَلِّقة بعلاقة بول أوساريس بتعذيب وقتل العربي بن مهيدي .

1.3. دور أوساريس في معركة الجزائر

كان بن مهيدي متأكدًا أنَّ العمل الثوري ودعم الشعب هو الحل للخروج من هذا الوضع، وهنا ألقى بن مهيدي مقولته المشهورة: "ألقوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب"، وهذا لمواجهة العنف الذي كان يُمارس على الشعب فقد كان العمل المسلح هو الحل، بل أيضًا اللجوء للعمل السلمي الخالي من العنف (Saadi, 2004,p. 49).

بعدما أصبحت مدينة الجزائر منطقة مستقلة بقرار صدر عن مؤتمر الصومام، أصبحت تسمى بالمنطقة المستقلة وكانت تابعة مباشرة للجنة التنسيق والتنفيذ، وقد أُسنِدت القيادة السياسية لهذه المنطقة إلى العربي بن مهيدي بمساعَدَة ياسف سعدي، فقد قام بن مهيدي بتنظيم خلايا فدائية مهمتها تنفيذ عمليات مسلحة ردًا على القمع الذي يقوم به الجيش الفرنسي، وهذا ما أدى إلى جلب الرأي العام الفرنسي والعالمي للقضية الجزائرية (غيلاني، 2012، ص. 178) .

لقد شهدت المنطقة المستقلة العديد من العمليات الفدائية تحت إشراف بن مهيدي وبمساعدة كل من ياسف سعدي وعلي لابوانت، دون أن ننسى دور العنصر النسوي في

العمل الفدائي،خاصة في حمل القنابل ووضعها في الأماكن المكتظة بالمستوطنين، ثم جاء قرار إضراب الثمانية أيام، من 28 جانفي إلى غاية 04 فيفري 1957 (صاري، تر: خليل أوذاينة، 2012، ص. 34).

بدأ الإضراب واستجابت جميع شرائح المجتمع، فاستُدعي الجنرال بول أوساريس، الذي كُلِّف بالبحث عن أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ وإحكام القبضة على المنطقة المستقلة، والتي كان بن مهيدي قائدها.

بدأت السلطات الفرنسية عملية البحث وذلك من خلال المداهمات وتعذيب الأبرياء من الأهالي للحصول على معلومة ما تقودهم إلى قائد من قادة المنطقة المستقلة، فقد كانوا يقومون بتعذيب السكان في بيوتهم (زهرة ظريف، تر: محمد ساري، 2014، ص, 373).

ولكسر الإضراب لجأت السلطات الفرنسية إلى كل أنواع التعذيب، بالرغم من تجريمه، وقد اعترف الجنرال بول أوساريس في كتابه:" شهادتي حول التعذيب" أنَّ جنوده استخدَموا التعذيب، حيث يعترف بوجوده، وأنَّ استخدامه كان من أجل إنقاذ المدنيين من قنابل من وصَفَهُم بالإرهابيين "يقْصِد المجاهدين"، والتعذيب حسبه يسبب الألم ولا يشوه الإنسان، إلا أنَّ ممارسات وأساليب الفرقة العاشرة للمظليين وشهادات الضحايا وآثار التعذيب والتشوهات والإعاقات الجسدية والعقلية التي يعانيها العديد من الجزائريين حاليًا، تُكذب ذلك جملة وتفصيلا (غربي، 2009، ص ص. 311 و312).

مورس إذًا التعذيب على الجزائريين من طرف أوساريس، وهو من قدماء حرب الهند الصينية، والذي كان يرأس مجموعة من صف الضباط مهمتهم تنفيذ عمليات القتل السرية وقد وجد هذا الفريق كل الدعم والمساندة المادية والبشرية والمعنوية من طرف السلطات السياسية والمدنية، ومُنِح هذا الفريق صلاحيات وسلطات واسعة، وحسب اعترافات بعض أفراد المجموعة، ومنهم "الار"، فإنَّ الأساليب والوسائل الوحشية التي يستخدمونها قد وجدت كل التشجيع والترحاب والرضا من طرف العديد من الوزراء أمثال: بورجيي، روبرت لاكوست، وغيرهما (غربي، 2009، ص ص. 312 و313).

كانت حصيلة الإضراب غالية، فإلى جانب ما لحق بالتجار من خسائر مادية نتيجة تعرض سلعهم للنهب والتخريب من طرف جنود فرنسا، والمستوطنين، فإن أكبر خسارة كانت على الصعيد التنظيمي، إذ تمكنت قوات الشرطة الفرنسية من اكتشاف العديد من مخابئ

فدائيي الجبهة في مدينة الجزائر نتيجة حملة المداهمات، والتي أسفرت أيضًا عن العديد من المفقودين الذين قُتلوا لاحِقًا تحت التعذيب (رخيلة، 2013، ص. 70). ولعلّ أكبر خسارة لحقت بالثورة الجزائرية نتيجة حملة الاعتقالات التي تلت الإضراب، هي إلقاء القبض على العربي بن مهيدي عضو لجنة التنسيق والتنفيذ وهذا يوم 16 فيفري 1957 وغيره من الفدائيين، وبهذا عملت الشرطة الفرنسية على تفكيك حركة جبهة التحرير الوطني، ممَّا أدى إلى تقليل العمليات الفدائية في مدينة الجزائر فيما بعد، خاصة مابين أكتوبر 1957 وفيفري 1961 (عمراني، 2010، ص. 88).

4. قضية إعدام الشّهيد محمد العربي بن مهيدي

لقد شكَّلت طريقة وفاة الشهيد محمد العربي بن مهيدي نقطة استفهام بالنسبة للكثير من المختصين في الجزائر وخارج الجزائر، ويبدو أنَّ هذا الغموض قد طال أَمَدُهُ طويلا؛ ففي 2007، كتبت فلورانس بوجي (Florence Beaugé) –وهي صحفية جريدة لوموند الفرنسية المعروفة بلقاءاتها مع كل من ماسو وأوساريس– في هذا السياق، "لازالت ظروف وفاة العربي بن مهيدي غامضة على الرغم من مرور خمسين سنة من ذلك" (من موقع صحيفة Lemonde، تمّ الاسترجاع يوم (2021/01/22). وإنَّ مما لا شكَّ فيه أنَّ هذه الحادِثة قد أسالت الكثير من الحبر، فمن المعروف أنَّ الروايات حولها تعدَّدت واتَّسمَت أيضا بالغموض نظرا لمنافاتها للوقائع والمنطق في بعض الحالات؛ بِحيث توجَّهت إحدى هذه الروايات إلى أنَّه قام بالانتحار، وهي الرِّواية التي لم تُفَنِّدْها الدَّولَةُ الفرنسية الرسمية على الأقل حتَّى مارس 2007، حين نُشِرَ حوار الجنرال أوساريس مع الصّحفية فلورانس بوجي، في حين ذهبت بعضها في مسار مغاير تمامًا؛ بِحيث أنَّها كذَبت رواية الانتحار، وذهبت إلى أنَّ العربي بن مهيدي قد تمَّ تعذيبُه واغتياله، وذهبت رواية ثالثة إلى أنَّه اغتيل دون أن يتِمَّ تعذيبه، وهذه هي الرّواية الأخيرة، أمَّا أوساريس فقد روى روايتين اثنتيْن؛ بِحيث أنَّه بعدما نادى إلى تصديق رواية الانتحار، اعترف أنَّ العربي بن مهيدي قد لقِيَ حتفَهُ مشنوقا بأمْرٍ عَسْكَرِي وليس انتحارا. وفيما يلي تفصيل عن اعترافاته في هذا الشأن.

1.4. رواية أوساريس بشأن تعذيب وإعدام العربي بن مهيدي

إنَّ من الجدير بالذكر أنَّ رواية أوساريس بشأن تعذيب وإعدام العربي بن مهيدي قد وردت في تسجيلات مرئية وصوتية أو مقالات صحفية على حدّ علم الباحثة، التي لم تجد ما تمّ تأليفه في هذا الموضوع. من هذا المنطلَق، ركَّزت الباحثة في تقصي الحقائق على ما ورد في صحيفة لوموند الفرنسية، من خلال لقاء فلورانس بوجي بأوساريس. وفيما يلي روايته في صحيفة لوموند:

بعدما أُلقِيَ القبض على العربي بن مهيدي، تمَّ نقله على متن سيارة جيب (Jeep)، في الليلة من 03 إلى 04 مارس 1957، إلى منطقة متيجة، وهي عبارة عن أرض سهلية قريبة من مدينة الجزائر، اين تمَّ اقتياده إلى مزرعة أحد المستوطنين الفرنسيين المتطرفين (أي: المنتمين إلى التيار اليميني الكاره للجزائريين)، وكان في انتِظاره ستّة أفراد يقومون بالتّحضير لإعدامه، وقد قاموا بتمرير حبل حول أنبوب مُعَدّ للتّدفِئة يَمُرُ عبر سقف الغرفة، ثمَّ قاموا بتشكيل حلقة بواسطة الحبل من أجل وضعها حول رقبة العربي بن مهيدي، كما وضعوا مقعدا في الأسفل.

وبعد منتصف الليل بقليل أدْخِلَ قائد جبهة التحرير الوطني العربي بن مهيدي إلى الغرفة. في البداية، رفض وضع الحلقة حول رقبته، حينها صرَخَ أحد الجنود في وجهه قائلا: "إنَّه أمر !"، فأجابه العربي بن مهيدي قائلاً: "أنا أيضا عقيد في جيش التحرير الوطني وأعرف جيدا معنى الأوامر." وكانت تلك آخِرَ كلماته. كما أوضَحَ أوساريس أنَّ الإعدام تَمَّ على محاولتين، إذ انقطع الحبل في المحاولة الأولى، ولم يمت العربي بن مهيدي إلَّا بعد المحاولة الثانية (من موقع صحيفة Lemonde، تمّ الاسترجاع يوم 2021/02/09).

إنَّ أحداث اغتيال الشّهيد العربي بن مهيدي كما رواها أوساريس تبدو منطقيةً ويمكن تصديقُها على الأقل لِسَبَبين: أمَّا السَّبَبُ الأَوَّلُ فَهُوَ أنَّ العربي بن مهيدي عُرِفَ بين صفوف جبهة وجيش التحرير الوطني بشخصِيَتِهِ القوية وبتدَيُنِهِ، مِمَّا يبعَثُ على التّشكيك في إقدامِهِ على وَضْعِ حَدٍّ لِحياتِه نَظَرًا لِما في ذلِكَ من مخالفَةٍ لِمبادِئِ الدين الإسلامي؛ وأمَّا السَّبَبُ الثاني فقد ورَدَ أيْضًا في جريدة لوموند الفرنسية، وهو يتَمَثَّلُ في وجود شاهِدٍ عيان أكَّدَ أنَّ رِوايَةَ أوساريس صحيحة، وهو المدعو محمّد الشريف مولاي الذي أكَّدَ لِصحيفة لوموند أنَّهُ رأى جثَّةَ العربي بن مهيدي بأمِّ عينيه، وذلِكَ عندما كان في مصلحة حِفْظِ الجثث من أجل استرجاع جُثَّةِ والِدِه المتَوَفَى في ذلِكَ المُسْتَشْفَى، فورد وصفُه لجثة العربي بن مهيدي كما

يلي: "كانت هناك جُثَّةٌ على طاولةٍ حديدية (...) وكانت توجَدُ على أحَدِ أصبعي رجليه الكبيرين قُصاصة كُتِبَ عليْها اسم: العربي بن مهيدي، وقد تعَرَفت على وجْهِهِ بسرعة، لم ينزِف ولم تكن هناك أية آثار للرصاص على جثّتِه ولا آثار لدمه، لكِن كان يوجد أعلى رقبته بقعة زرقاء تميل إلى الاحمرار، كما لو كانت وذمًا." (من موقع صحيفة Lemonde، تمّ الاسترجاع يوم 2021/02/09).

وهكذا روى أوساريس روايته عن الطّريقة التي تمّ بها إعدام الشّهيد العربي بن مهيدي إعدامًا موجزا. ومِمّا يبدو جلِيًا هنا هو أنَّ الرّواية التي رواها لا تُجيب بشكل صريحٍ عَمَّا إذا تَمَّ تعذيب العربي بن مهيدي قبل إعدامِه. لكن، من جِهَةٍ أخرى ليس العربي بن مهيدي فقط من اتُهِمَ أوساريس بتعذيبه، بل إنَّه اتُّهِمَ بتعذيب الكثيرين أيضا. ولِذلِكَ، سيتطَرَّقُ البحث في العُنْصُرِ الآتي إلى تصريحات بعض القادة العسكريين بتعذيب العربي بن مهيدي قبل إعدامه دون محاكمة.

2.4. تصريحات بتعذيب بن مهيدي

إنَّ رَبْطَ ممارسات التّعذيب باسم أوساريس أصْبَحَ مَوَثَّقًا بتصريحات مجموعةٍ منَ الذين شاركوه تلك الممارسات. في هذا السِّياق، ذَكَرَ بارو (1989، ص. 91) تصريح أحد الجلادين وهو النقيب "بالوك" الذي شارك في جريمة إعدام العربي بن مهيدي دون محاكمة، وقال بالوك في تصريحه: "أنا مجرم، أنا مجرم لأنني شاركت في جريمة اغتيال رجل ذو مبدأ يدافع من أجل الحياة الكريمة"، كما ذَكَرَ محمّد الصالح الصديق حادِثَةً أخرى على لِسان النّقيب بالوك الذي سبقت الإشارة إليه، فأورَدَ أنَّ هذا النّقيب قال أنَّ بيجار قد قام بتعذيب بن مهيدي إمَّا بنفسه أو عن طريق جلاديه وكان هو (أي النّقيب بالوك) حاضرًا لمشاهدة هذا الرجل في مواجهة الألم (الصديق، 2010، ص. 69).

في نفس السّياق، أكَّد أوساريس في مذكِّراتِه أنَّه كان دائِما يستعمِل نفس أساليب التَّعذيب: الضرب والصّدمات الكهربائية ولاسيما التّعذيب باستعمال الماء، وأضاف أنَّ أساليبه في التَّعذيب كانت فعالة من حيث سرعة النتيجة، إذ لم يحدث أبدا أن تحمَّلَ المُعَذَّبون التعذيب لأكثر من ساعة واحدة (Langer, The Independent, www.independent.co.uk, retrieved on: April, 5th, 2020).

كتبت عنه صحيفة الاندبندنت (The Independent) البريطانية أنَّه تصدَّر عناوين الصُّحُف في 2001 بنشرِهِ لمذكّراتِه، التي وَصَفَ فيها التَّعذيب وعمليات الإعدام التي شاركَ فيها والتي أثارت ضجّة في فرنسا، وأضافت الصحيفة أنَّ الرّئيس الفرنسي آنذاك (عند نشر مذكّرات أوساريس) كان "مذعورا" لما تضمَّنَه الكتاب من رعب، خاصة بعد اعترافه بأنَّ العربي بن مهيدي وعلي بومنجل تمت تصفيتُها ولم ينتحرا كما كان يُرَوَّج له (Tucker, 2013, pp. 53 & 54).

دافع أوساريس عن أساليب التّعذيب التي اتّبعها ووصفها بأنَّها كانت مناسبة لعصر التطور (Langer, The Independent, www.independent.co.uk, retrieved on: April, 5th, 2020) قائِلًا أنَّها كانت ضرورية أمام "حالة طوارئ سياسية" (Porter, 2011, p. 549).

بناء على ما سبَقَ، لا يبدو أنّ هناك شكّ في مدَى تَحيُزِ أوساريس لتطبيق عمليات الإعدام خارج الإطار القانوني، وذلِكَ على حِساب حقوق الإنسان التي تُعَدُّ فِرنسا رائِدَةً في الدّعوَةِ إلى احترامها .

5. خاتمة:

تناولت الدِّارسة موضوع قَضِيَة الإعدام خارج الإطار القانوني، وركَّزت على تنفيذ هذا النّوع من الإعدامات على الشّهيد العربي بن مهيدي. وتَمَحوَرَت الدِّراسة حول إشكالية أساسية هي: كيف تَمَّت تصفِيَة الشَّهيد العربي بن مهيدي بِحسب رواية الجنرال أوساريس؟ وإجابة عن هذه الإشكالية توَصَّلَ البحْثُ إلى أنَّ أوساريس اعتَرَف بأنَّ الشّهيد العربي بن مهيدي قد تَمَّ إعدامُه دون مُحاكَمَةٍ عادِلَة، وأنَّه اغتيلَ بواسِطَةِ حبْلٍ عُلِّقَ في سَقْفِ الغُرْفَةِ التي كان موجودًا بِها. كما دَلَّ على ذلِكَ ما أدلَى به شهودٌ عيان تمَّ ذِكْرُهُم في الدِّراسة. وفي سِياقِ الحديث عن الاعترافات التي أدلى بها أوساريس، يجدُرُ بالبحث التنويه بمجهودات صحفِيَةِ جريدة لوموند (Le Monde) فلورانس بوجي، التي يبدو أنَّها تابعت هذا المِلَف الهام لمدَّة طويلة من الزَّمن، بِحيث تناولته في لقاءين اثنين مع الجنرال أوساريس (لقاء 2001، ولقاء 2007).

لقد سعى البحث من جهة أخرى إلى الإجابة على تساؤلين هما: ما هو الأسلوب الذي اتبعه الجنرال أوساريس لأخذ المعلومات من المناضلين؟ وما مدى نجاحه في الوصول للعقول المسيرة للثورة التحريرية؟ وفي هذا السِّياق، يُمْكِنُ ذِكْرُ ما يلي:

إنَّ مِمَّا لا شَكَّ فيه هو أنَّ أوساريس اتَّبَعَ أسلوبا تَمَيَّزَ بالقمْعِ والعنْف من أجل الوصول إلى العقول المُسَيِّرَةِ لجبهة التّحرير الوطني، بِحيث أنَّه أُقْدَمَ على تعذيب الجزائريين واغتيال عدة شخصيات مناضلة في سبيل نيل الجزائر استقلالها، وهذا حسب ما جاء في اعترافاته. ويمكن القول أنَ أبرَزَ هذه الاغتيالات كانت في حقِّ الشهيد محمد العربي بن مهيدي، كما سبقت الإشارة إليه.

إذًا، تمَّ استدعاءُ أوساريس من طرف الجنرال جاك ماسو من أجل تكليفه بإعادة النظام للمنطقة المستقلة، وهذا بعد تصاعد العمل الفدائي بها، فلجأ إلى ممارسةَ التعذيب والقِيام بعمليات إعدام خارِج الإطار القانوني كوسيلة للوصول إلى العناصر المسيِّرة للجبهة. وفي هذا السّياق، لابُدَّ من الإشارَةِ إلى أنَّ هذه الممارسات كان لها أثَرٌ سلبي على سير الأحداث في المنطِقَة المستَقِلَة، لاسيَما أثناء إضراب الثّمانية أيام.

إنَّ اعترافات أوساريس في سنة 2001، بممارسته التعذيب في الجزائر، وقوله بشرْعِيَتِه وبأنّه كان الأسلوب الأنجع للوصول إلى الحقيقة، كلُّ هذا يُعدُّ دليلا على اعتبار هذه الممارسات غير الأخلاقية وغير الإنسانية ناجِحَةً في تنفيذ أجِندَةٍ عَسْكَرِيَةٍ تهدِفُ أساسا إلى التنكيل بشعبٍ أعزَل. ويجدُرُ هنا التذكير بأنَّ فرنسا الرَّسمية في ذلِكَ الوقت كانت تبارِكُ هذه الممارسات.

إنَّ اعترافات أوساريس قد أزالت اللثام على دولة كانت تَدَّعي أنَّها من المنادين إلى السلام وحسن معاملة الأسرى، وعند نشر كتابه سنة 2001، اكتفت دولته بتجريده من رتبته وانتزاع وسام جوقة الشرف منه، ونحن كجزائريين لا ينبغي أن نولي كتابه أهمية أكثر ممَّا يستحق فهو مجرد مذكرات رجل سفاح وكذَّاب.

وبناء على ما سبق، يمكن القول بأنَّ أوساريس هو مجرم حرب، لجأ للتعذيب من أجل خدمة مصالح رؤَسائِه، وقد صرَّح بأنه غير نادم ورفض الاعتذار وأنَّ ما قام به كان في النهاية من أجل دولته فرنسا.

توفي مجرم الحرب، الجنرال السفاح أوساريس يوم الأربعاء 03 ديسمبر 2013 عن عمر ناهز 95 عاما.

6. قائمة المراجع:

- *أوساريس، بول، شهادتي حول التعذيب مصالح خاصة: الجزائر 1957-1959، ترجمة: مصطفى فرحات، دار المعرفة، (الجزائر: دار المعرفة، 2008.)*
- *بارو، سليمان، حياة البطل محمد العربي بن مهيدي، دار الهدى، (عين مليلة: دار الهدى، 1989.)*
- *بزيان، سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة، (الجزائر: دار هومة، 2009.)*
- *رخيلة، عامر، خلفيات ونتائج إضراب الثمانية أيام 28 جانفي-04 فيفري 1957، مجلة أول نوفمبر، العددان 177-178، الجزائر، 2013.*
- *صاري، جيلالي، ثمانية أيام من معركة الجزائر(28 جانفي-04 فيفري 1957)، ترجمة: خليل أوذاينية، موفم للنشر، (الجزائر: موفم للنشر، 2012.)*
- *الصديق، محمد الصالح، من الخالدين "الذين حملو لواء الجهاد..."، دار الأمة، (الجزائر: دار الأمة، 2010.)*
- *ظريف، زهرة، مذكرات مجاهدة من جيش التحرير الوطني منطقة الجزائر المستقلة، ترجمة: محمد ساري، منشورات الشهاب، (الجزائر: منشورات الشهاب، 2014.)*
- *عمراني، عبد المجيد، جان بول سارتر والثورة الجزائرية 1954-1962، تقديم: محمد العربي ولد خليفة، دار الهدى، (الجزائر: دار الهدى، 2010.)*
- *غربي، الغالي، فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1958: دراسة في السياسات والممارسات، غرناطة للنشر والتوزيع، (الجزائر: غرناطة للنشر والتوزيع، 2009.)*
- *غيلاني، السبتي، الإعدام خارج الإطار القانوني للأسرى، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، 2012.*

- منصور، علي منصور، التجريم والعقاب في الإسلام مقارنة بالقوانين الوضعية، مؤسسة الزهراء والخير، (المدينة المنورة: مؤسسة الزهراء والخير، ط1،1976.)
- *Aussaresses, Paul , The Battle of the Casbah, Enigma Books, (USA, Enigma Books, 2006.)*
- *Beaugé, Florence, Le secret du general Aussaresses, article récupéré de: www.lemonde.fr. Publié 19 mai 2001*
- *Beaugé, Florence, Le general Aussaresses confirme que le chef du FLN à Alger, Larbi Ben M'hidi, a été pendu, article récupéré de: www.lemonde.fr. publié le05 Mars 2007*
- *Langer, Emily, (2020), Paul Aussaresses: General who Fought in the Algerian War for Independence and in Retirement was tried for defending the use of torture, http://www.independent.co.uk (Retrieved on: April, 5th, 2020).*
- *Porter, Davis, Eyes to the South, French Anarchists in Algeria, AK Press, (USA: AK Press, 2011.)*
- *Saadi, Yacef, La Bataille D'Alger, Tome 3, Publisud, (Paris, Publisud 2004.)*
- *Tucker, Spencer C. (ed.), Encyclopaedia of Insurgency and Counterinsurgency, a New Era of Modern Warfare, ABC CLIO, (California, ABC Clio, 2013.)*
- *Tucker, Spencer C. (ed.), The Definitive and Document Collection, ABC CLIO, (California, ABC Clio, 2020.)*